كالوا فصل قال كيلوا طعامكم تبارك لكم فيه • واعلم انه تعالى لما خوف
المكذبين اولي النعمة باهوال يوم القيمة خوفهم بعد ذلك باهوال
الدنيا فقال انا ارسلنا اليكم رسولا يريد النبي صلى الله عليه وسلم
ارسلناه الى قريش كما ارسلنا الى فرعون رسولا وهو موسى عليه الصلوة
والسلام وهذا التهديد لاهل مكة بالاخذ الوبيل • قال مقاتل وانما ذكر
موسى وفرعون دون ساير الرسل لان اهل مكة ازدروا محمدا صلى الله
عليه وسلم واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى بموسى لانه
رباه ونشا فيما بينهم كما قال تعالى الم نربك فينا وليدا • وذكر ابن
الخطيب هذا السوال والجواب وهو ليس بالقوي لان ابراهيم
عليه الصلوة والسلام ولد ونشا فيما بين قوم نمرود وكان ازر وزير
نمرود على ما ذكره المفسرون وكذلك القول في نوح وهود وصالح ولوط
لقوله تعالى في قصة كل واحد منهم لفظ اخاهم لانه من القبيلة التي بعث
اليها قوله فعصى فرعون الرسول انما عرفه لتقدم ذكره وهذه
الى العهدية والعرب اذا قدمت اسما ثم حكت عنه ثانيا اتوا به معرفا
بال او اتوا بضميره لئلا يلتبس بغيره نحو رجلا فاكرمت الرجل او فاكرمته
ولو قلت فاكرمت رجلا لتوهم انه غير الاول وسياتي تحقيق هذا عند
قوله تعالى ان مع العسر يسرا • وقوله عليه الصلوة والسلام لن يغلب عسر
يسرين • قال المهدوي هنا دخلت الالف واللام في الرسول لتقدم
ذكره ولذلك اختير في اول الكتب سلام عليكم وفي اخرها السلام عليكم
قوله فاخذناه اخذا وبيلا اي شديدا • وضرب وبيل وعذاب
وبيل اي شديد قاله ابن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل اي شديد
قاله الاخفش • وقال الزجاج اي ثقيلا غليظا • ومنه قيل للمطر وابل
وقيل مهلكا قال •

اكلت بنيك اكل الضب حتى * وجدت مرارة الكلا الوبيل

واستوبل فلان كذا اي لم يحمد عاقبته وماء وبيل اي وخيم غير مرو وكلا
مستوبل وطعام وبيل ومستوبل اذا لم يمرو ولم يستمرى قال زهير

فقضوا منايا بينهم ثم اصدروا * الى كلا مستوبل متوخم

وقالت الخنساء

لقد اكلت بجيلة يوم لاقت * فوارس مالك اكلا وبيلا

والوبيل ايضا العصا الضخمة قال

لو اصبح في يمنى يدي زمامها * وفي كفي الاخرى وبيلا تحاذره

وكذلك الوبيل بكسر الباء والموبل ايضا الحزمة من الحطب وكذلك الوبيل
قال طرفة عقيلة شيخ كالوبيل المبدد فصل قال ابن الخطيب
هذه الاية يمكن الاستدلال بها على اثبات القياس لان الكلام انما ينتظم
لو قسنا احدى الصورتين على الاخرى فان قيل هب ان القياس في هذه
الصورة حجة فلم قلتم انه في ساير الصور حجة وحينئذ يحتاج الى ساير
القياسات بالقياس على هذه الصورة والا لزم المحذور الذي ذكرتم
بل وجه التمسك ان نقول لولا انه تمهد عندهم ان الشيين اللذين
يشتركان في مناط الحكم ظنا يجب اشتراكهما في الحكم والا لما اورد هذا الكلام
في هذه الصورة وذلك لان احتمال الفرق المرجوح قايم هنا فان القايل ان
يقول لعلهم انما استوجبوا الاخذ الوبيل بخصوصية حال العصيان في
تلك الصورة وتلك الخصوصية غير موجود هنا ثم انه تعالى مع قيام
هذا الاحتمال جزم بالتسوية في الحكم وان الفرق المرجوح من ان تلك الخصوصية
تلك الواقعة لا عبرة به لم يكن لهذا الكلام كثير فايدة ولا معنى لقولنا القياس

حجة

حجة الا هذا فصل ومعنى كونه قال ابن الخطيب ومعنى كون
الرسول شاهدا عليهم من وجهين الاول انه شاهد عليهم يوم القيمة
بكفرهم وتكذيبهم • الثاني ان المراد بكونه شاهدا كونه مبينا للحق في الدنيا
ومبينا لبطلان ما هم عليه من الكفر لان الشاهد بشهادته يبين الحق
ولذلك وصفت بانها بينة لا يمتنع ان توصف صلى الله عليه وسلم
بذلك من حيث انه يبين الحق • قال ابن الخطيب وهذا بعيد لان الله تعالى
قال وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس اي عدولا اخيارا
ويكون الرسول عليكم شهيدا فبين انه شاهد عليهم في المستقبل لان حمله
الشهادة في الاخرة حقيقة وحمله على البيان مجاز والحقيقة اولى من المجاز
قوله فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا يوما منصوب
اما بتتقون على سبيل المفعول به تجوزا • وقال الزمخشري يوما مفعول به
اي فكيف تتقون انفسكم يوم القيمة وهوله ان بقيتم على الكفر وناقشه
ابو حيان فقال وتتقون مضارع اتقى واتقى ليس بمعنى وقى حتى يفسره
به واتقى يتعدى الى واحد ووقى يتعدى الى اثنين قال تعالى ووقاهم
عذاب الجحيم ولذلك قدره الزمخشري تتقون انفسكم لكنه ليس تتقون
بمعنى تقون فلا تعدى تعديته انتهى • ويجوز ان ينتصب على الظرف اي
فكيف لكم بالتقوى يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا قاله الزمخشري • ويجوز
ان ينتصب مفعولا بكفرتم اذا جعل كفرتم بمعنى جحدتم اي فكيف تتقون
الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة ولا يجوز ان ينتصب ظرفا لانهم
لا يكفرون ذلك اليوم بل يؤمنون لا محالة • ويجوز ان ينتصب على اسقاط
الجار اي ان كفرتم بيوم القيمة فصل قال القرطبي هذا تقريع وتوبيخ
اي كيف تتقون العذاب ان كفرتم وفيه تقديم وتاخير اي كيف تتقون
يوما يجعل الولدان شيبا ان كفرتم وكذا قراه عبد الله وعطية • قال
الحسن باي صلوة تتقون العذاب باي صوم تتقون العذاب وفيه اضمار
اي كيف تتقون عذاب يوم القيمة • وقال قتادة والله ما يتقي من كفر
بالله ذلك اليوم بشي واليوم مفعول بتتقون على هذه القراة وليس بظرف
وان قدر الكفر بمعنى الجحود كان اليوم مفعول كفرتم • وقال بعض المفسرين
وقف التام على قوله كفرتم والابتداء يوما يذهب الى ان اليوم مفعول يجعل
والفعل لله عز وجل كانه قال يجعل الله الولدان شيبا في يوم • قال ابن الانباري
هذا لا يصح لان اليوم هو الذي يفعل هذا من شدة هوله • وقال المهدوي
والضمير في يجعل يجوز ان يكون لله عز وجل • ويجوز ان يكون لليوم واذا كان
لليوم صلح ان يكون صفة له ولا يصلح ذلك اذا كان الضمير لله عز وجل الا مع
تقدير حذف كانه قال يوما يجعل الولدان فيه شيبا • وقال ابن الانباري
ومنهم من نصب اليوم بكفرتم وهذا قبيح لان اليوم اذا علق بكفرتم احتاج
الى صفة كفرتم ليوم فان احتج محتج بان الصفة قد تحذف وينصب ما بعدها
احتججنا عليه بقراة عبد الله فكيف تتقون يوما • قال القرطبي هذه القراة
ليست بمتواترة وانما جاءت على وجه التفسير واذا كان الكفر بمعنى الجحود
فيوم مفعول صريح من غير صفة ولا حذفها اي فكيف تتقون الله وتخشونه
ان جحدتم يوم القيمة والجزا • والعامة على تنوين يوما وجعل الجملة بعده نعتا
له والعايد محذوف اي يجعل الولدان فيه قاله ابو البقا ولم يتعرض للفاعل
في يجعل وهو على هذا ضمير الباري تعالى اي يوما يجعل الله فيه واحسن من هذا
ان يجعل العايد مضمرا في يجعل هو فاعله ويكون نسبة الجعل الى اليوم من باب
المبالغة اي نفس اليوم يجعل الولدان شيبا • وقرا زيد بن علي يوم يجعل باضافة

Copyright King Saud University